

## زَغَلُ الْعِلْمِ لِلْإِمَامِ الدَّهَبِيِّ

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الدهبي الدمشقي رضي الله عنه وأرضاه :

إعلم أنّ في كلّ طائفةٍ من علماء الأُمّة ما يُدّم ويُعاب فتجنّبهُ

### القرّاءُ المُجَوِّدَةُ :

فيهم تطبّع زائدٌ وتحريّرٌ زائدٌ يُؤدّي إلى أنّ المجوّد القارئَ يبقَى مصروفَ الهمةِ إلى مُراعاةِ الحروفِ والتطبّعِ في تجويدِها بحيثُ يشغلهُ ذلك عن تدبّرِ معاني كتابِ الله تعالى ويصرفه عن الخشوعِ في التلاوةِ لله وتخليةِ قُوى النفسِ ، مُزدرِياً لحفاظِ كتابِ الله تعالى فينظرُ إليهم بعينِ المُقتِ وأنّ المسلمين يلحنونَ وبأنّ القرّاءَ لا يحفظونَ إلا شواذَّ القرّانِ . فليت شعري ! أنتَ ماذا عرفتَ ؟ وما علمك ؟ وأما عمّلكَ فغيرُ صالحٍ ، وأما تلاوتكَ فثقيلةٌ عريّةٌ عن الخشيّةِ والحزنِ والخوفِ .

فاللهُ تعالى يُوقّفكَ ويُبصّرُكَ رُشدكَ ويوقظُكَ من رَقَدَةِ الجهلِ والرّياءِ .

وَضدُّهم قرّاءُ النعمِ والتمطيطِ : وهؤلاءُ في الجملةِ من قرأ منهم بقلبٍ وخوفٍ قد يُنتفعُ به في الجملةِ ، فقد رأيتُ من يقرأُ صحيحاً ويُطربُ ويُبكي .

نعم ، ورأيتُ من إذا قرأَ قسَى القلوبِ وأبرَمَ النفوسِ وبدّلَ كلامَ الله تعالى ، وأسوأهم حالاً الجنائزَةُ .

والقرّاءُ بالرواياتِ وبالجمعِ فأبعدُ شيءٍ عن الخشوعِ وأقدمُ شيءٍ على التلاوةِ بما يخرجُ عن القصدِ وغيره ، وشعائرهم في تكثيرِ وجوهِ حمزةٍ وتغليظِ تلكَ اللاماتِ وترقيقِ الرّاءاتِ .

اقرأ يا رجلُ واعفنا من التغليظِ والترقيقِ ومن الإمالةِ والمدودِ ووقوفِ حمزةٍ .

إلى كم هذا ؟

وأحرُّ منهم إن حضرَ في ختمَةٍ أو تلا في محرابٍ جعلَ ديدنه إحصارَ غرائبِ الوجوهِ والسكّاتِ والتهوُّعِ بالتسهيلِ ، ويأتي بكلِّ خلافٍ ، ونادى على نفسه : أنا أبو فلانٍ فاعرفوني فأني عارفٌ .

إيشُ يُعملُ بك ؟

لا صَبَحَكَ اللهُ بخيرٍ ، إنك حجرٌ منجنيقٍ ، ورصاصٌ على الأفئدةِ .

## والمُحدِّثون :

فغالبهم لا يفقهون ولا همّة لهم في معرفة الحديث ولا التدوين به ، بل الصحيح عندهم والموضوع شبهة .  
إنما همّهم في السماع على جهلة الشيوخ وتكثير العدد من الأجزاء والرؤا ، لا يتأدّبون بأداب الحديث ، ولا يستفيقون من سكرة السماع ، الآن يسمع الخبر ونفسه تحدّثه متى يرويه ؟ أبعد خمسين سنة ! ويحك ! ما أطول أملك ! وأسوأ عملك ! معذور سفيان الثوري إذ يقول فيما رواه أحمد بن يوسف التعلبي ، ثنا خالد بن خدّاش ، ثنا حماد بن زيد قال : قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى : لو كان الحديث خيراً لذهب كما ذهب الخير . صدق والله ! وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهيه ؟ وأنت لا ثقّليه ، ولا تبحث عن ناقله ، ولا تدّين الله به .

أمّا اليوم في زماننا فما يُفيد المحدث الطلب والسماع مقصود الحديث من التدوين به ، بل فائدة السماع ليروي ، فهذا والله لغير الله .

خطابي معك يا محدّث لا مع من يسمع ولا يعقل ولا يحافظ على الصلوات ولا يجتنب الفواحش ولا فرش الحشائش ولا يُحسّن أن يصدّق فيها .

فيا هذا لا تكن محروماً مثلي فأنا نحسّ أبغض المناجيس ! .

وطالب الحديث اليوم ينبغي له أن ينسخ أوّلاً الجمع بين الصحيحين وأحكام عبد الحق والضياء ويُدمن النظر فيها ويكثر من تحصيل تواليف البيهقي فإنها نافعة ولا أقلّ من تحصيل مختصر كالإمام .

فأيش ! السماع على جهلة المشيخة الذين ينامون والصبيان يلعبون والشبيبة يتحدّثون ويمرحون وكثير منهم ينعمسون ويكابرون والقارئ يُصحّف وإتقانه في تكثير أو كما قال والرّضّع يتضاعفون .

بالله خلّونا فقد بقينا ضحكة لأولي المعقولات يطنّزون بنا : هؤلاء هم أهل الحديث ! .

نعم ماذا يضّر ولو لم يبق إلا تركز الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم لكان خيراً من تلك الأقاويل التي تضادّ الدين ، وتطرّد الإيمان واليقين ، وتُردي في أسفل السّافلين ، لكنك معذور ! فما شمت ولا رأيت للإسلام رائحة ، ولا رأيت أهل الحديث .

فأولهم كان لهم شيخ عالي الإسناد بينه وبين الله واحد معصوم عن معصوم سيّد البشر عن جبرئيل عن الله عزّ وجلّ ، فطلبته مثل أبي بكر وعمر وابن مسعود وأبي هريرة الحافظ وابن عباس وسادة الناس الذين طالت أعمارهم ، وعلا سندهم ، وانتصبوا للرواية الرّفيعية ، يحمل عنهم مثل مسروق وابن المسيب

والحسن البصريّ والشّعبيّ وعروة وأشباههم من أصحاب الحديث وأرباب الرواية والدراية والصدق والعبادة والإتقان والزهادة الذين من طلبتهم مثل الزهريّ وقتادة والأعمش وابن جحادة وأيوب وابن عون وأولئك السادة الذين أخذ عنهم الأوزاعيّ والثوريّ ومعمّر والحمّادان وزائدة ومالك والليث وخلق سواهم من أشياخ ابن المبارك ويحيى القطان وابن مهديّ ويحيى بن آدم والشافعيّ والقعنبيّ وعدّة من أعلام الحديث الذين خلفهم مثل أحمد بن حنبل وإسحاق وابن المدينيّ ويحيى بن معين وابن أبي خيثمة وابن نمير وأبي كريب وبنار وما يليهم من مشيخة البخاريّ ومسلم وأبي داود والنسائيّ وأبي زرعة وأبي حاتم ومحمد بن نصر وصالح جزرة وابن خزيمة وخلائق ممن كان في الزمن الواحد منهم ألوف من الحفاظ ونقله العلم الشريف ثم تناقص هذا الشأن في المائة الرابعة بالنسبة إلى المائة الثالثة ولم يزل ينقص إلى اليوم ، فأفضل من في وقتنا اليوم من المحدثين على قلوبهم نظير صغار من كان في ذلك الزمان على كثرتهم .

وكم من رجل مشهور بالفقه والرأي في الزمان القديم أفضل في الحديث من المتأخرين ، وكم من رجل من متكلمي القدماء أعرف بالأثر من سنيّة زماننا ، فما أدركنا من أصحاب الحديث إلا طائفة كفاضي ديار مصر تقيّ الدين ابن دقيق العيد والحافظ الحجة شرف الدين الدُمياطيّ والحافظ جمال الدين ابن الظاهريّ والشيخ شهاب الدين بن فرح ونحوهم ، وأدركنا من عكر الطلبة شهاب الدين ابن الوفريّ ونجم الدين ابن الحجاز والشيخ عبد الحافظ .

ونحمد الله تعالى ، في الوقت أناس يفهمون هذا الشأن ويعتنون بالأثر كالمزّيّ وابن تيمية والبرزاليّ وابن سيّد الناس وقطب الدين الحلبيّ وتقيّ الدين السبكيّ والقاضي شمس الدين الحنبليّ وابن قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة وصلاح الدين العلائيّ وفخر الدين ابن الفخر وأمين الدين ابن الوالي وابن إمام الصالح ومحبّ الدين المقدسيّ وسيدي عبد الله بن خليل وسواهم العكز والغناء .

الله يستر والمرء مع من أحبّ ، والسعيد من خض وأهّب ، وعلى الطاعة أكبّ ، والله الموفق والهادي .

### الفهاء المالكيّة :

على خيرٍ وأتباعٍ وفضلٍ إن سلّم قضاهم ومفتوهم من التسرع في الدماء والتكفير .

فإنّ الحاكم والمفتي يتعيّن عليه أن يراقب الله تعالى ويتأني في الحكم بالتقليد ، ولا سيّما في إراقة الدماء .

فالله تعالى ما أوجب عليهم تقليد إمامهم فلهم أن يأخذوا منه ويتركوا كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : كلُّ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلّم .

فيا هذا إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك لم أبحث دم فلان؟ فما حجتك؟ إن قلت: قلدتُ إمامي. يقول لك: أنا أوجبتُ عليك تقليد إمامك؟ .

ثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قالَ : أوَّلُ ما يُقتَضَى بينَ الناسِ في الدماءِ . وفي الحديث : لا يزالُ المرءُ في فُسْحَةٍ ما لم يَتَنَدَّ بدمٍ حرامٍ .

نعم ، مَنْ رأيتَه زنديقًا عدوًّا لله تعالى فاتَّقِ اللهَ وأرِقْ دمه ابتغاءَ وجهِه بعد أن تستفتي فيه وتستخيرَ اللهَ تعالى فيه .

### الفقهاء الحنفيَّة :

أولو التوفيقِ والرأيِ والذكاءِ والخيرِ .

مَنْ مثلهم إن سلّموا من التحيلِ والحيلِ على الرِّبا وإبطالِ الرِّكَاةِ ونقرِ الصلاةِ والعملِ بالمسائلِ التي يسمعون النصوصَ النبويَّةَ بخلافها .

فيا رجلُ دَع ما يريُّك إلى ما لا يريُّك ، واحتطِّ لدينك ، ولا يكن همُّك الحكمَ بمذهبك ، فمَنْ اتقى الشبهاتِ فقد استبرأً لدينه وعرضه .

وإذا عملتَ بمذهبك في المياهِ والطهارةِ والوترِ والأضحيةِ فأنتَ أنت .

وإن كانتَ همُّك في طلبِ الفقه الجِدالِ والمرءِ والانتصارَ لمذهبك على كلِّ حالٍ وتحصيلِ المدارسِ فما دَا فِقْهًا أُحرويًا ! دَا فقهَ الدُّنيا ، فما ظنُّك تقولُ غداً بين يدي الله تعالى ؟ تعلّمتُ العلمَ لوجهك ! وعلمتُه فيك ! فاحذر أن تغلّطَ وتقولها ، فيقول لك : كذبت ! إنما تعلّمتَ ليُقَالَ عالمٌ وقد قيل ، ثم يُؤمَّر بك مسحوبًا إلى النارِ ، كما رواه مسلمٌ في الصحيح .

فلا تعتقد أن مذهبك أفضلُ المذاهبِ وأحبُّها إلى الله تعالى ، فإنك لا دليلَ لك ولا لمخالفك أيضًا ، بل الأئمَّةُ رضيَ اللهُ تعالى عنهم على خيرٍ كثيرٍ ولهم في صوابهم أجرانٍ على كُلِّ مسألةٍ وفي خطئهم أجرٌ على كلِّ مسألةٍ .

### الفقهاء الشافعيَّة :

أكيسُ الناسِ وأعلمُ من غيرهم بالدِّينِ ، فأسُّ مذهبهم مبنيٌّ على اتِّباعِ الأحاديثِ المتصلةِ ، وإمامهم من رؤوسِ أصحابِ الحديثِ ، ومناقبتهم جمَّةٌ .

فإن حصلت يا فلان مذهبهُ لتدينَ الله تعالى به وتدفع عن نفسك الجهلَ فأنت بخير .

وإن كانت همَّتكَ كهمةِ إخوانك من الفقهاء البَطَّالينَ الذينَ قصدُهم المناصبَ والمدارسَ والدُّنيا والرفاهيةَ والثيابَ الفاخرةَ فما ذا بركةُ العلمِ ! ولا هذه نيةٌ خالصةٌ ! بل ذا بيعٌ للعلمِ بِحُسنِ عبارةٍ وتَعَجُّلٍ للأجرِ وتحمُّلٍ للوزرِ وغفلةٍ عن الله تعالى .

فلو كنتَ ذا صنعةٍ لكنتَ بخيرٍ تأكلُ من كسبِ يمينك وعزقِ جبينك وتزدي نفسك ولا تتكبرُ بالعلمِ . أو كنتَ ذا تجارةٍ لكنتَ تُشبهُ علماءَ السلفِ الذينَ ما أبصروا المدارسَ ولا سمعوا بالجهاتِ وهربوا لَمَّا للقضاءِ طُلبوا ، وتعبَّدوا بعلمهم وبدلوه للناسِ ، ورضوا بثوبِ خاتمٍ وبكسرةٍ كما كانَ من قريبِ الإمامِ أبو إسحاقٍ صاحبِ التنبيةِ وكما كانَ بالأمسِ الشيخُ محيي الدينِ صاحبُ المنهاجِ وكما ترى اليومَ سيدي عبدَ الله بنَ خليلٍ .

وعلى كلِّ تقديرٍ : احذرَ المرءَ في البحثِ وإن كنتَ محققًا ، ولا تنازعَ في مسألةٍ لا تعتقدها ، واحذرَ التكبرَ والعجبَ بعلمك .

فيا سعادتك إن نجوتَ منه كفافًا لا عليك ولا لك .

فَوَ اللهُ ما رَمَقَت عيني أوسعَ علمًا ولا أقوى ذكاءً من رجلٍ يُقالُ له ابنُ تيميةَ مع الزهدِ في المأكَلِ والملبَسِ والنساءِ ، ومع القيامِ في الحقِّ والجهادِ بكلِّ ممكنٍ ، وقد تعبتُ في وزنه وفتشته حتى مللتُ في سنينَ متطاولةٍ فما وجدتُ قد أخَّره بينَ أهلِ مصرَ والشامِ ومفتته نفوسُهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا الكبرَ والعجبَ وفرطَ الغرامِ في رياضةِ المشيخةِ والازدراءِ بالكبارِ ، فانظر كيف وبالِ الدعاوى ومحبةِ الظهورِ ، نسألُ الله تعالى المسامحةَ ، فقد قام عليه أناسٌ ليسوا بأورعَ منه ولا أعلمَ منه ولا أزهَدَ منه بل يتجاوزون عن ذنوبِ أصحابهم وآثامِ أصدقائهم ، وما سلَّطهم اللهُ عليه بتقواهم وجلالَتهم بل بذنوبِهِ وما دفعه اللهُ عنه وعن أتباعِهِ أكثرَ ، وما جرى عليهم إلا بعضُ ما يستحقون فلا تكن في مِريةٍ من ذلك .

### وأما الحنابلةُ :

فعندهم علومٌ نافعةٌ ، وفيهم دينٌ في الجملةِ ، ولهم قلةٌ حظُّ في الدنيا .

والعلماءُ يتكلمون في عقيدتهم ، ويرمونهم بالتجسيمِ ، وبأنه يلزمهم وهم بريئون من ذلك إلا النادر .

والله يعفُرُ لهم .

## النَّحْوِيُّونَ :

لا بأسَ بهم ، وعلمُهم حسنٌ مُحتاجٌ إليه .

لكنَّ النحويَّ إذا أمعنَ في العربيةِ وعرِيَ عن علمِ الكتابِ والسنةِ بقيَ فارغاً بطَّالاً لَعَابًا ، ولا يسألهُ اللهُ والحالُ هذه عن علمه في الآخرةِ بل هو كصنعةٍ من الصنائعِ كالطبِّ والحسابِ والهندسةِ لا يُثابُ عليها ولا يُعاقبُ إذا لم يتكبرَ على الناسِ ولم يتحامقَ عليهم واتقى اللهُ تعالى وتواضعَ وصانَ نفسه .

## اللُّغَوِيُّونَ :

قد عُدموا في زماننا .

فوجدُ الفقيهَ لا يدري لغةَ الفقه ، والمقرئُ لا يدري لغةَ القرآن ، والمحدثُ لا يعنى بلغةِ الحديث .

فهذا تفريطٌ وجهلٌ ، وينبغي الاعتناءُ بلغةِ الكتابِ والسنةِ ليفهمَ الخطابُ .

## المُفسِّرونَ :

قلَّ من يعنى اليومَ بالتفسيرِ ، بل يُطالعُ المدرسونَ تفسيرَ الفخرِ الرازيِّ وفيه إشكالاتٌ وتشكيكاتٌ لا ينبغي سماعُها ، فإنها تحيِّرُ وتُمرضُ وتُردِي ، ولا تشفي غليلاً .

نسألُ اللهَ العافيةَ .

وأقوالُ السلفِ في التفسيرِ مليحةٌ ، لكنَّها ثلاثةُ أقوالٍ ، أربعةُ أقوالٍ فصاعدًا ، وضئيعُ الحقِّ بين ذلك ، فإنَّ الحقَّ لا يكونُ في جهتين ، وربما احتملَ اللفظُ معنيين .

## الأصولِيُّونَ :

أصولُ الفقه لا حاجةُ لك به يا مُقلِّدٌ ويا من يزعمُ أنَّ الاجتهادَ قد انقطعَ وما بقي مجتهدٌ .

ولا فائدةٌ في أصولِ الفقه إلا أن يصيرَ صاحبهُ مجتهدًا به ، فإذا عرفَه ولم يفك تقليدَ إمامه لم يصنع شيئًا بل أتعَبَ نفسه وركَّبَ على نفسه الحجةَ في مسائل .

وإن كان يُقرَأُ لتحصيلِ الوظائفِ ليُقالَ ! فهذا من الوبالِ ، وهو ضربٌ من الخبالِ .

## أصولُ الدين :

هو اسمٌ عظيمٌ ، وهو منطبقٌ على حفظِ الكتابِ والسنةِ ، فهما أصولُ دينِ الإسلامِ ليسَ إلا .

وأما العُرفُ في هذا الاسمِ فهو مختلفٌ باختلافِ النَّحلِ .

فأصولُ دينِ السَّلَفِ : الإيمانُ باللهِ وكتبهِ ورسلهِ وملائكتهِ وبصغاتهِ وبالقدرِ وبأنَّ القرآنَ المنزَّلَ كلامُ اللهِ تعالى غيرَ مخلوقٍ والترضِّي عن كلِّ الصحابةِ إلى غيرِ ذلك من أصولِ السنةِ .

وأصولُ دينِ الخَلَفِ : هو ما صَنَّفوا فيه وبنوه على العقلِ والمنطقِ ممَّا كان السلفُ يُحْطِئُونَ سالَكه ويُدَّعونَه ، وبينهم اختلافٌ شديدٌ في مسائلٍ مرتبةٍ تركُّها من حُسنِ إسلامِ العبدِ فإنه يُورثُ أمراضًا في القلوبِ .

ومن لم يصدَّقني يُجربُ ، فإنَّ الأصوليةَ بينهم السيفُ يُكفِّرُ هذا هذا ويُضللُ هذا هذا .

فالأصوليُّ الواقفُ مع الظواهرِ والآياتِ عند خصومه يجعلونه مجسَّمًا وحشويًا ومبتدعًا ، والأصوليُّ الذي طردَ التأويلَ عند الآخرين جهميًّا ومعتزليًّا وضالًّا ، والأصوليُّ الذي أثبتَ بعضَ الصفاتِ ونفى بعضَهَا وتأوَّلَ في أماكنٍ يقولون متناقضًا .

والسَّلَامَةُ والعافيةُ أُولَى بك .

فإن برعتَ في الأصولِ وتوابعها من المنطقِ والحكمةِ الفلسفيةِ وآراءِ الأوائلِ ومُحَارَاتِ العقولِ واعتصمتَ مع ذلكَ بالكتابِ والسنةِ وأصولِ السلفِ ولققتَ بين العقلِ والنقلِ فما أظنُّكَ في ذلكَ تبلُّغَ رتبةِ ابنِ تيميةَ ولا واللهِ تُفَارِها ، وقد رأيتَ ما آلَ أمرُه إليه من الحُطِّ عليه والهجرِ والتضليلِ والتكفيرِ والتكذيبِ بحقِّ وبباطلٍ ، فقد كانَ قبلَ أن يدخلَ في هذه الصناعةِ مُنورًا مُضيئًا ، على حَيَّاهُ سِيمَا السَّلَفِ ثم صارَ مُظلمًا مكسوفًا عليه قَتَمَةٌ عند خلائقٍ من الناسِ ، ودجَّالًا أفاكًا كافرًا عند أعدائه ومبتدعًا ، فاضلًا محققًا بارعًا عند طوائفٍ من عقلاءِ الفضلاءِ ، وحاملَ رايةِ الإسلامِ وحاميَ حوزةِ الدينِ ومحبيِ السنةِ عند عوامِّ أصحابه ، هو ما أقولُ لك .

## والمَنطِقُ :

نفعه قليلٌ ، وضرره وبييلٌ ، وما هو من علومِ الإسلامِ .

والحقُّ منه فكامنٌ في النفوسِ الذكيَّةِ بعباراتٍ غريبةٍ ، والباطلُ منه فاهربُ منه ، فإنَّك تنقطعُ مع خصمِكَ وتعرفُ أنك الحقُّ ، وتقطعُ خصمَكَ وتعرفُ أنك على الخطأِ .

فهِيَ عباراتٌ دهَّاشَةٌ ، ومقدماتٌ دكاكَةٌ ، نسألُ اللهَ السَّلَامَةَ .

فإن قرأته للفرجة لا للحجة ، وللدنيا لا للآخرة فقد عذبت الحيوان ، وضيعت الزمان ، والله المستعان .

### والحكمة الفلسفية الإلهية :

ما ينظر فيها من يُرحى فلاحه ، ولا يركنُ إلى اعتقادها من يلوحُ نجاحه .

فإن هذا العلم في شقٍّ وما جاءت به الرسلُ في شقٍّ .

ولكن ضالٌّ من لم يدرِ ما جاءت به الرسلُ كما ينبغي بالحكماءِ شرٌّ ممن يدرى .

وا غوثاهُ بالله إذا كان الذين قد انتدبوا للردِّ على الفلاسفة حاروا ولحقتهم كسفةٌ ، فما الظنُّ بالمردودِ عليهم ، وما دواءُ هذه العلوم وعلمائها إلا الحريقُ والإعدامُ من الوجود ، إذ الدينُ ما زال كاملاً حتى عُزِّت هذه الكتب ، ونظرَ فيها المسلمون فلو أُعدمت لكان فتحاً مبيناً .

### والحكمة الرياضية :

فيها حقٌّ من طبائع هندسية وحسابياتٍ ونحو ذلك ، وفيها أباطيلٌ وتنجيمٌ وما أشبهه ، فباطلها يؤذي المرءَ في دينه ويُضللُّه ، وحقُّها صنعةٌ وإتقانٌ وتحريُّرٌ مما لا أجرَ فيه ولا وزر .

### والحكمة الطبيعية :

لا بأسَ بها ، لكنها ليست من علوم الدين ولا مما يُتقربُ به إلى الله ، ولا من زادِ المعادِ بل صنعةٌ بلا ثوابٍ ولا عقابٍ إذا كان صاحبها سليمَ الاعتقادِ وعدلاً خيراً كما رأينا جماعةً منهم ، وقد يُثابُّ الرجلُ على تعليمها إن شاء الله تعالى .

### الفرضيون :

داخِلون في الفقهاء إذ هو كتابٌ من كتبِ الفقه .

وهو علمٌ مَلِيحٌ ، والإمعانُ فيه يُفوّتُ الوقتَ ، والتوسُّطُ في ذلك جيدٌ .

فكَم من مسألةٍ في الفرائضِ ما وقعت ولا تقعُ أبداً .

### الإنشاء :

فإن أبناءَ الدنيا ، ليسَ من علم الآخرة في شيءٍ .

والكامل فيه محتاجٌ إلى مشاركةٍ قويةٍ في العلوم الإسلامية : يُريدُ عقلاً تامّاً ورزانهً وسُرعةً فهمٍ وقلةً تخيُّلٍ وبصراً باللغّة والنحو وخبرةً بالمعاني والبيان والسّير وأيامِ الناسِ وفنونِ الأدبِ وحُسنِ كتابةٍ .

ولكن ليكن رأسُ مالِ المنشئِ تقوى الله ومراقبته ، وربما وُضِعَ لفظه معجبةً يهوي بها في النار وهو لا يدري ، وربما أبدع في سطرٍ ترتّب عليه خرابٌ مصرٍ ، وربما أعانَ تعلُّمُهُ على سفكِ الدّمِ الحرامِ .

فانظر أين أنت يا بليغٌ ؟ قد ذمّ نبيك البلاغة ، فقال : إن من البيانِ لِسِحْرًا . وقال : العيُّ من الإيمانِ .

فكَمِّلْ براعةَ البلاغةِ بإرضاءِ ربك الأعلى وبنُصحِ ربِّ الأمرِ ، فهنا كمالُ البلاغةِ إن كنتَ من المتقين ، وإن تعدّرَ ذلك فدينتك ما منه عَوْضٌ .

فَمَن اتقى الله كفاه الناسَ ، ومن أرضى الناسَ بسخطِ الله سلطَ الله عليه مَن أرضاه ، وإنها لكبيرةٌ إلاّ على الخاشعينَ .

### الشُّعْرُ :

هو مِن فنونِ المنشئِ ، وهو كلامٌ : حسنه حسنٌ وهو قليلٌ ، وقبيحه قبيحٌ وهو الأغلبُ .

وبيتُ ماله الكذبُ والإسرافُ في المدحِ والهجوِ والتشبيهِ والنعوتِ والحماسةِ ، فأملحُه أكذبُه .

فإن كان الشاعرُ بليغاً مفوهًا مقدامًا على الكذبِ في لهجته مُصِرًّا على الاكتسابِ بالشعرِ رقيقِ الدينِ فقد قرأَ مَقَّتَ الشُّعْرَاءِ في سورةِ الشُّعْرَاءِ ، وَيَنْدُرُ على الشعراءِ المجردينَ مَن يتصوَّنُ من الهجوِ .

وربما أدّى الأمرُ بالشاعرِ إلى التجاوزِ إلى الكفرِ ، نسألُ الله تعالى العافية .

والشاعرُ المحسِنُ كحسّانَ ، والمقتصدُ كابنِ المباركِ ، والظالمُ كالمتنبي ، والسفِيهُ الفاجرُ كابنِ الحجاجِ ، والكافرُ كذويِ الاتحادِ ، فاحتر لنفسِكَ أيّ وادٍ تسلُّكُ .

### الحسابُ وشرعُ الديوانِ :

هذا من علومِ القبطِ والفُرسِ ليسَ من علومِ الإسلامِ ، وهو صنعةٌ ومعيشةٌ يَنالُ بها الرجلُ السَّعادةَ والدنيا ، وكلِّما كان أهمُّه كان أسرَقَ ، ومَن اتقى الله فيها وكتبَ لقضاةِ العدلِ وباشَرَ الأيتامَ والصدقاتِ ومالَ الأوقافِ والمدارسِ ولزمَ الأمانةَ واتقى فهذا محمودٌ مأجورٌ بنيتِه ، فقد رأينا جماعةً يسيرةً على نحو ذلك ، نعم ، ورأينا ذئابًا عليها الثيابُ ، وفاسقُ الكتبةِ إليه النهايةُ في الشرفِ ، وعاقبةُ أمرهم وبيلةٌ من الضربِ والمصادرةِ والفقْرِ .

## الشروط :

علمٌ حسنٌ شرعيٌّ ، من شرع فيه ولزم العدالة والورع عاش حميدًا ، ومات سعيدًا .  
ومن عاش فيه بالتَّحِيلِ والمكرِ والدهاءِ فلا بُدَّ له من خزيٍّ في الدنيا ، ومقْتٍ في الأخرى وإن تسوّد هذا ، قُلْ متاعُ الدنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لمن اتقى .

## الوعظ :

فإن ، بدايته تحتاج إلى مشاركةٍ جيّدةٍ في العلمِ ويستدعي معرفةً حسنَةً بالتفسيرِ وإكثارًا من حكاياتِ الفقراءِ والزُّهادِ .

وعُدته التقوى والزَّهادةُ ، فإذا رأيتَ الواعظَ راغبًا قليلَ الدينِ فاعلم أنَّ وعظه لا يتجاوزُ الأسماعَ ، وكم من واعظٍ مَفْوّهٍ قد أبكى وأثّرَ في الحاضرينَ تلكَ الساعةَ ثم قاموا كما قعدوا ، ومتى كان الواعظُ مثلَ الحسنِ والشيخِ عبدِ القادرِ رحمهما اللهُ تعالى انتفعَ به الناسُ .

تمت الرسالةُ وصلّى اللهُ على سيدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه الكرامِ وسلّم